محمد حسنين هيكل...

وحديثان إستثنائيان مع فؤاد مطر

الأول عن لبنان وإنتخابات الرئيس

والثاني عن هموم مصر وإهتماماتها بعد عبدالناصر

إلى الآن لم يخلع محمد حسنين هيكل ربطة العنق السوداء. كان بدأ إستعمالها بعدما رحل جمال عبد الناصر. وفي أول السنة الجديدة (1971) خلع الربطة السوداء وحاول إستبدالها بربطة عنق ملونة، وبمجرد أن لف بها عنقه عاد ووضعها جانباً ووضع بدلاً منها الربطة السوداء. كان شعوراً عفوياً لا يعرف أي تفسير له.

متى يستبدل ربطة العنق السوداء بربطة فيها ألوان أو على الأقل فيها اللون الأزرق الذي كان يحبه عبد الناصر؟ لا يعرف. قد يكون ذلك بعد مرور الذكرى الأُولى على رحيل القائد الكبير.

وإلى الآن فإن هيكل، وهو للمناسبة أحد القلائل بين رجال عبد الناصر الذين لم يستبدلوا ربطة العنق السوداء بربطة ملونة، يحرص بإستمرار على أن يزور عائلة عبد الناصر في منشية البكري.

بالإضافة إلى ذلك، فإن أُسرة عبد الناصر موجودة أو ممثَّلة وظائفياً في "الأهرام". فالإبنة الكبرى هدى تدير مركز دراسات عبد الناصر الذي أنشأه هيكل في "الأهرام"، وزوجها حاتم صادق يدير مركز الدراسات الفلسطينية في "الأهرام" بالإضافة إلى قيامه بأعمال كتابية وتحريرية، والإبنة الثانية منى تعمل في "دار المعارف" أرقى مؤسسة نشْر في القاهرة ويترأس مجلس إدارتها هيكل.

وقد فرغ هيكل من إعداد كتاب عن عبد الناصر سيصدر بالإنكليزية في مطلع 1972 وهو لا يروي فيه قصة عبد الناصر وإنما يركز على بعض المواقف السياسية في حياة الراحل.

وبين أول حديث أجريتْه مع هيكل والحديث الثاني هذا نحو عشرة أشهر.

الحديث الأول كان في أغسطس/ آب 1970، يومها كانت الظروف ساخنة. كانت المواقف معقدة. كان

الوضع العربي مزيجاً من الإرتباك والتجاذب والصراعات المبطَّنة والعلنية والسرية.

اليوم قد يبدو الموقف شبيهاً بعض الشيء بتلك المرحلة الصعبة.

الحديث الأول الذي أجريتُه مع هيكل كان أيام عبد الناصر، والحديث الثاني أُجريه بعد نحو تسعة أشهر من رحيل عبد الناصر.

وفي هذه المدة ما زال هيكل على تألقه. ما زال شاغل المصريين والعرب والكثيرين الكثيرين خارج الحدود الممتدة من المحيط الذي يصر على القول إنه كان هادراً، إلى الخليج الذي يصر على القول إنه كان ثائراً.

وخلال حديثي الثاني مع هيكل وقفتُ منه على أمريْن. الأول إنه لا يستبعد أن يقوم مبعوث مصري بزيارة واشنطن رداً على الزيارة التي قام بها وزير الخارجية الأميركية السيد وليم روجرز. والثاني إن عبد الناصر كان إختار إسم "الجمهوريات العربية المتحدة" بدلاً من "إتحاد الجمهوريات العربية" إسماً للاتحاد الذي أُعلنت أحكامه الأساسية في بنغازي. فهمتُ من هيكل أيضاً أن إعلان هذه الوثائق كان سيتم في قاعدة جمال عبد الناصر في طبرق ثم أُختيرت بنغازي لإعلان ذلك.

ما هو وضع هيكل الآن؟

التساؤلات الأساسية المطروحة لدى الكثيرين داخل مصر وخارجها تتعلق بوضع هيكل. هل ما زال كما كان أيام جمال عبد الناصر، وهل يمكن الإفتراض أنه يشارك، بشكل أو بآخر، في مواقع السُلطة؟

ويجيب هيكل:

"أقولها بأمانة إنني بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر فكرتُ جدياً في أن أعتزل كل عمل عام وأنصرف إلى الكتابة عن المرحلة الماضية. كنت سأفعل ذلك لولا إعتبار مهم وأساسي هو أنه على التراب المصري إحتلال. لولا ذلك لإبتعدتُ حتى عن الصحافة. والمسألة لم تكن مجرد قضية شخصية أو صدمة عاطفية. فأنا كنت رئيس تحرير قبل الثورة لكن الإنسان يعيش أحياناً فترة يشعر فيها أنه ينتمي إلى شيء ما أو أنه ملتزم بقضية ما. وأذكر هنا عبارة قالها لي عبد الناصر غير مرة وهي "لقد جندْتُك". قبْل الثورة كنت صحافياً متحركاً لا تربطني أي قيود. كنت أغطي العالم كله. بعد الثورة إستطاع عبد الناصر أن يوجد عنصر الإستقرار والإلتزام في حياتي. لقد حوَّل ذلك من إلتزام وطني عام إلى إلتزام محدَّد.

وأعدتُ النظر في قراري، قرار الإبتعاد عن الصحافة، بعد فترة تفكير طويلة.

لقد رحل عبد الناصر يوم 28 سبتمبر/ أيلول وكان الدفن يوم أول تشرين الأول وإستقلتُ يوم 3 أكتوبر/ تشرين الأول. قررتُ الإستقالة وكتبتها بالفعل وإخترتُ اليوم الثاني للدفن وتوجهتُ إلى الرئيس السادات يوم السبت 3 تشرين الأول وقلت له إنني أفكر في تزْك "الأهرام" والوزارة. كنت أعتقد أن التجربة التي قمتُ بها تكفي وأن هنالك مرحلة مقبلة لا بد لوجود من يعبِّر عنها.

ورفض السادات العرض. وبعد مناقشات طويلة معه طلب مني البقاء إلى ما بعد الإستفتاء على أن يقْبل إستقالتي من الوزارة بالتاريخ الذي كتبتُه وهو يوم 3 تشرين الأول.

وبقيتُ إلى ما بعد الإستفتاء. ثم بدأتُ أتأمل في التمزق العام في المنطقة وفي مصر بوجه التحديد. وإنتابني شعور بأنني إذا إنسحبتُ من الحياة العامة في هذه الظروف فقد يفسره البعض على أنه هرب.

أضيف إلى ذلك أن البعض حاول تفسير موقفي على غير حقيقته. قال هؤلاء إنني كنت أؤيد زكريا محيي الدين وإستندوا في ذلك إلى النعيْ الذي بعث به زكريا محيي الدين إلى "الأهرام" ونشرناه على أساس أنه من صديق قديم للرئيس الراحل. ومن حق "الأهرام" نشْر هذا النعيْ ونشْر أي نعيْ كان سيصل إلينا من رفاق عبد الناصر.

وقيل بعد الجنازة إنني، كوزير للإرشاد آنذاك، حرصتُ على أن يركز التلفزيون الذي كان يبث مباشرة موكب الجنازة على صورة زكريا محيي الدين. والحقيقة أن التلفزيون كان يركز آنذاك على صورة خالد عبد الناصر وكان زكريا محيي الدين يسير إلى جانبه. وليس من المعقول في تلك الساعة الرهيبة أن تكون همومي إعطاء التعليمات إلى التلفزيون ليركز على أشخاص دون آخرين.

أعود فأكرر إنني شعرتُ بأن الإنسحاب من الحياة العامة سيُعتبر هرباً. شعرتُ أيضاً أن هناك عناصر يمكن في هذه الظروف أن تستغل وتتصرف برخص لا تتحمله طبيعة المرحلة ومخاطرها. ويمكن القول إن هذه العناصر، بعملها من أجْل إرغامي على الإنسحاب من الحياة العامة، أقنعتْني بضرورة البقاء.

بعد الإستفتاء كنتُ لا أزال مقتنعاً بأن العمل الوزاري ليس مجالي، وبأنني يجب أن أبقى في المجال الصحافي طالما أنا قادر، بإلتزامي الوطني والمهني، على تأدية دوري في النضـــال الوطني العام إلى حين تحرير الأرض. وبعد ذلك من حقي إتخاذ القرار المناسب. وعندما قررتُ أن أبقى صحافياً لم يتغير شيء في نطاق أدائي المهنة. كنت أؤدي عملي الصحافي كما كان الحال أيام عبد الناصر، لأن أداء العمل وأسلوب تأديته ليس ثوباً يستطيع الواحد أن يخلعه في أي وقت. إنه جزء من طبيعته، خاصة إذا كان صادراً عن إلتزام وعن إستجابة لخطر ليس على وطن وحسب وإنما على الأمة كلها. يتصل بذلك مباشرة إعتقادي أنه كانت هنالك مبالغة في الحديث عن السُلطة التي كانت لي أيام عبد الناصر. ولقد قلتُ وكتبتُ غير مرة أن طبيعة الصحافي في الموقع الآخر المواجه للسُلطة وهو ليس طرفاً في إصدار قرار وإنما هو طرف في مناقشة هذا القرار، وهذا هو الدور الذي كنتُ أقوم به.

عُرض عليَّ المنصب الوزاري أربع مرات. الأُولى سنة 1956 والثانية سنة 1958 والثالثة سنة 1961 والرابعة سنة 1970. وكنتُ دائماً أعتذر، وفي المرة الخامسة سمعتُ من الإذاعة أنني عُينت وزيراً.

لم أكن سُـلطة قرار، وأنا بطبيعتي ضـد ذلك. أيام عبد الناصـر كنتُ طرفاً في حوار. كنت أناقش ولا أزال أناقش".

وسألتُ هيكل إذا كان يرحب بعودة ثانية إلى المشاركة في السُلطة وزيراً أو غير ذلك فأجاب:

"مسألة العودة إلى المشاركة في الحُكم لم تكن مطروحة. المرة الوحيدة التي شاركتُ فيها كانت إرغاماً ومن دون علمي".

إقالة علي صبري والحملة على هيكل

بمجرد إعلان إقالة السيد علي صبري تبادرت إلى أذهان البعض أن لهذه الإقالة علاقة بالحملة التي قادها بعض المسؤولين في الإتحاد الإشتراكي العربي. وعندما سألت هيكل ما إذا كان يربط بين الإقالة والحملة أجاب:

"ليس هناك ربْط على الإطلاق بين الأمريْن. كل منهما مسألة لا علاقة لها بالأُخرى. ولقد كنتُ سعيداً بالحملة التي قادتها عناصر في الإتحاد الإشتراكي، بصرف النظر عن تجاوزات حدثت، لأنني كنتُ دائماً من أنصار الحوار المفتوح والمنادين به في مصر. كنتُ سعيداً بذلك لأنني كنتُ موضوع التجربة الأولى للحوار ولأن المواطنين في النتيجة النهائية بعد أن يقرأوا سيحكمون، وسيخرج كل واحد بنتيجة ويصحح ما يدور في خاطره ويتحول إلى مواطن موضوعي".

وتكملة لهذا السؤال سألتُ هيكل عن تصوره لمستقبل الإتحاد الإشتراكي ودور هذا التنظيم على الصعيد السياسي، فقال:

"لا بد من التفرقة بين التنظيم وفكرة التنظيم السياسي، وبين أي خطأ يقع فيه فرد في ممارسة العمل السياسي. ويجب أن يكون المستقبل في مصر للإتحاد الإشتراكي، بإعتبار أنه تحالُف قوى الشعب العاملة. ولا يستطيع أي عمل سياسي من تأدية إنجاز حقيقي من دون أن يكون مستنداً إلى التنظيم.

وأعتقد أن صيغة تحالف قوى الشعب العاملة التي خرج بها الميثاق من أفضل صيَغ التنظيم السياسي في العالم النامي، لأنها تستجيب لضرورات الواقع والتطور في الوقت نفسه لكن على أساس أن تُفهم هذه الصيغة فهماً حقيقياً. إن التنظيم الواحد في هذه الحالة يتلافى خطر الإنقسام من ناحية، ومن ناحية أُخرى فإن تَعدد القوى داخله يؤدي إلى تلافي مخاطر الصمت، سواء أكان إختيارياً أو إجبارياً، لأن تعدد الأطراف يفرض الحوار. وهذا يؤدي إلى التطور. بذلك نتلافى خطر الإنقسام ونستجيب للتطور".

وعروبة مصر؟ هل حُسم الأمر في هذه المسألة؟ قلت لهيكل. أجاب:

"لا أعتقد أن عروبة مصر كانت موضع مناقشة أو شك، كذلك لا أعتبر أن عبد الناصر هو الذي صنع عروبة مصر. الذي فعله عبد الناصر أنه أكد عروبة مصر وثبّتها. وهذا التأكيد والتثبيت وصلا إلى مرحلة القناعة الشاملة لدى الشعب المصري. أحياناً نخطئ عندما ننظر إلى الوحدة والإنتماء على أساس التاريخ والماضي. إن أكبر خطأ يحيق بفكرة الوحدة هو التاريخ والماضي. آن الأوان لأن يقوم التاريخ والماضي بخدمة القومية العربية من حيث إعطاؤها الأساس للمستقبل. إننا في عالم وعصر لم يعد فيه مكان للكيانات الصغيرة. الإتحاد السوفياتي عملاق. الولايات المتحدة عملاقة. الصين عملاقة. أوروبا الغربية تحاول أن تكون عملاقاً.

إذا لم تكن أسباب الوحدة موجودة تاريخياً وعملياً لوجُب أن نصنعها، لأننا لا نستطيع أن نواجه المستقبل بشظايا مبعثرة تعيش على منطقة في وسط العالم لها أهميتها الإستراتيجية ولديها موارد إقتصادية لا حدود لها وعليها بشر لهم دور حضاري متصل.

لا ضرورة للشك في أن عبد الناصر، بعملية التأكيد والتثبيت، كان رمزاً لعروبة مصر، لكن رحيل رمز لا يلغي حقيقة، وإلاَّ فمعنى ذلك أن عبد الناصر لم يعمل شيئاً. إن أي واحد يشك في عروبة مصر ينكر عبد الناصر في مصر. من ينكر عروبة مصر من دون عبد الناصر ينكر في الواقع دور عبد الناصر في مصر.

بعد رحيل عبد الناصر سمعتُ كل المناقشات ووقفتُ على المزيد من عمليات الحوار، ولم ألمس أي شك في عروبة مصر. أحياناً كان هنالك ضيق بالتمزق العربي الموجود. بالضياع العربي العام الموجود. كان هنالك ضيق بالعجز العربي الموجود. وكان هنالك إحساس بوجود أطراف عربية تستطيع المشاركة بأكثر مما شاركت، وذلك يمكن أن يحدث في أي عائلة من دون أن يكون هنالك مبرر لأحد أفرادها لأن يغيِّر بطاقة هويته".

مَن إختار الاسم؟

إفترضتُ أن هيكل هو الذي إختار "جمهورية مصر العربية" إسماً جديداً للبلاد ولهذا سألتُه ماذا يعني بهذا الإختيار وهل هنالك فرق بينه وبين "الجمهورية العربية المصرية" مثلاً، وهل أن عبد الناصر كان ينوي تغيير الإسم؟

ورد هيكل: "حقيقة للتاريخ لست أنا الذي إختار الإسم. لقد نقلت "الأهرام" الخبر عن الرئيس السادات. القرار قراره وهو لا يعني إنعكاساً ما على عروبة مصر.

ولا بد هنا من العودة إلى العبارة التي قالها عبد الناصر بعد الإنفصال وهي "وستبقى الجمهورية العربية المتحدة محتفظة بإسمها رافعة علَمها مرددة نشيدها". قال عبد الناصر ذلك في مواجهة الإنفصال وتعبيراً منه عن إحساس مصر بأنها يجب أن تبقى محافظة على اسم يرمز إلى معنى الوحدة كي لا يضيع كل شيء بين أنقاض الإنفصال وفي حطام مؤامرة الإنفصال. هذا الإسم كان يعني بالنسبة إلى عبد الناصر وديعة مؤقتة إلى حين عودة الوحدة بشكل من الأشكال. إن إسم مصر وقت الوحدة لم يكن "الجمهورية العربية المتحدة" وإنما "الإقليم الجنوبي" أو "الإقليم المصري"، لكننا إعتبرْنا أنه يجب أن تحمل مصر إسم دولة الوحدة لمعنى الرمز.

وكان ذلك مثار تساؤلات كثيرة إلى درجة أن الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة سأل مرة: أنتم متحدون مع من؟

بقيَ العَلَم بنجمتيْن وكان القصد من ذلك المحافظة على الرمز لقيام الوحدة في يوم من الأيام، وإستمرار الرمز في أداء دوره التعبيري إلى حين عودة الوحدة حقيقة تُعبِّر عن نفسها".

ماذا يعني شعار الوحدة الوطنية؟

منذ تسلَّم الرئيس أنور السادات الحُكْم وهو يرفع شعار الوحدة الوطنية. وبإستمرار يركز الإعلام المصري على هذا الشعار. فهل تعني الوحدة الوطنية مشاركة كل الإتجاهات المصرية في المسؤولية؟

ويوضح هيكل هذه النقطة فيقول:

"الإتحاد الاشتراكي في حد ذاته صيغة وحدة وطنية لقوى الشعب العاملة، فهو يضم كل قوى الشعب التي لم تطبَّق عليها قوانين أو قرارات موجبة للعزل السياسي، وبالتالي فإن كل مصري يسعى إلى العمل السياسي يجب أن يكون في الإتحاد الإشتراكي. وأعترف بأن غلطة كبيرة حصلت معادية لصيغة الإتحاد، وهي تخويف بعض قوى الشعب من المشاركة عملياً في العمل السياسي، مع أن حق العمل السياسي متوافر لها بمنطق التنظيم. وفي المرحلة المقبلة على الإتحاد الإشتراكي، الذي هو إطار تحالُف قوى الشعب العاملة، أن يفسح في المجال لكل قوى التحالُف لتؤدي كل منها دورها فيه من دون خوف أو وساوس. حدث في وقت من الأوقات مثلاً أن الرأسمالية الوطنية كانت تخجل من هذه التسمية التي أُطلقت عليها في حين أن الرأسمالية الوطنية هي إحدى قوى التحالُف. وكانت هنالك أسباب بررت خوفها، إلا أنه في المرحلة المقبلة يجب أن تمارِس كل قوى الشعب العامل، ومنها الرأسمالية الوطنية، دورها من دون وساوس أو مخاوف وبشكل علني. هذا جوهر التجربة المصرية".

كلام عن الإتحاد

نأتي إلى موضوع الإتحاد. قيل فيه وحوله الكثير، وبسببه تشابكت الأمور التي إنتهت إلى إقالة السيد علي صبري. سألتُ هيكل عما إذا كان هذا الإتحاد هو الصيغة الوحدوية التي كان يعمل من أجْلها عبد الناصر

فأجاب:

"بعد تجربة الوحدة وصـــل عبد الناصـــر إلى قناعة بأن بين المخاطر التي تعرضـــت لها التجربة أنها خلقت تناقضاً بين الإعتبار القومي والإعتبار الوطني.

لنلقِ نظرة سريعة على العالم العربي. إن دوله حصلت على الإستقلال حديثاً. كل دولة كافحت الإستعمار فترة طويلة أو قصـيرة، هادئة أو عنيفة، إلاّ أنها في النهاية حصـلت على إسـتقلال مميَّز بحدود معيَّنة ورموز معيَّنة. وظهرت الوحدة برغم تعلُّق الجماهير بها وإيمانهم بضـــرورتها وكأنها تذويب مراحل من النضـــال بأكملها. تلغي حدوداً. تلغي أعلاماً. تلغي مقاعد في الأمم المتحدة. تلغي شعارات هي في الواقع رمز من رموز الإستقلال. هذه الأمور خلقت في مصر وسوريا تناقضاً حقيقياً بين الوطنية والقومية.

لو أخذْنا مصر مثلاً. حصلت على إستقلالها بعد 70 سنة من النضال. وبعد سنتيْن من الإستقلال الذي تم سـنة 1956 قامت الوحدة مع سـوريا. كان ذلك سـنة 1958. ونتيجة لذلك تَبدل العَلَم وسـقط المفهوم التقليدي للحدود وتغيَّر إسـم مصـر. وشـعر المصـريون أن مرحلة كبيرة من نضـالهم ذهبت داخل عملية أكبر من هذه المرحلة. لقد تنبه عبد الناصـر إلى أن من أكبر العوامل الحقيقية التي لعبت دوراً في تسـهيل عملية الإنفصـال شكَّل التناقض بين الإعتبار الوطني والإعتبار القومي، أو الإحساس بهذا التناقض.

وعندما تحدَّث عبد الناصـــر في بنغازي عن إتحاد فيديرالي، وكان ذلك في حزيران 1970، كان يرى أن هذا الإتحاد خطوة نحو وحدة أكبر يمكن أن تتحقق في مراحل مقبلة إذا إســـتطاعت الدول الثلاث إزالة التناقض بين الوطنية والقومية".

فوائد مصر من الإتحاد

وسألتُ هيكل عن الفائدة التي يمكن أن تجنيها مصر من الإتحاد فأجاب:

"إنها ستجني فوائد بقدْر ما غيرها سيجني. الفائدة الأساسية من الوحدة هي مواجهة التجزئة. وليس هناك مزايا خاصة ستجنيها مصر. لقد إنتهى الوقت الذي كان البعض يظن أن مصر تريد الوحدة لتهجير الفلاحين من أجْل تخفيف الكثافة السكانية. فنحن في عصر نتجه إلى الصناعة والتكنولوجيا. وحل مشاكل التنمية لم تعد بالتهجير وإنما بالتنمية المكثفة. وحتى في الوحدة الأولى مع سوريا، أو أيام العلاقة الخاصة مع السودان، لم يهاجر الشعب المصري إلى البلدين. ولنتحدث قليلاً بلغة الأرقام. أيام الوحدة الأُولى مع سوريا جاء إلى مصر 120 ألف سوري في مقابل 5 آلاف مصري ذهبوا إلى سوريا. وأيام العلاقة الخاصة مع السودان كان في المدن السودانية 3 آلاف مصري في مقابل نصف مليون سوداني في مصر.

وبمنطق التنمية الحديثة نرى أنه إذا كان لا بد من إرسال فلاحين مصريين إلى السودان فيجب أن تؤمِّن لكل فلاح مستلزمات الإستيطان الجديد. وثبُت أن العائلة الواحدة تكلِّف عملية إستيطانها الجديد، بين إستصلاح أرض وتقديم مسكن وتأمين مرافق الإنتاج والخدمات في مجتمعها الجديد 5 آلاف جنيه إسترليني. فإذا كانت مصر تريد مثلاً تهجير مئة ألف عائلة فمعنى ذلك أنها سـتتكلف من أجْل ذلك 500 مليون جنيه. والأفضـل إذاً لمصـر أن تبني بهذا المبلغ "سـداً عالياً" آخر أو مصـانع تكفي لإعالة 500 ألف عائلة وليس 100 ألف عائلة. إنني أشـدد على القول إن الفائدة التي ستجنيها مصر من الإتحاد هي الفائدة نفسها التي ستجنيها كل من ليبيا أو سوريا".

وقلتُ لهيكل إن كلاً من سوريا وليبيا لم تُذع موافقتها على التعديلات التي أدخلتْها مصر على الإتحاد فهل من تفسير لذلك؟

أجاب:

"لم تُقَر التعديلات إلاَّ بالإتفاق مع سوريا وليبيا. والتعديلات لفظية ومجرد صياغة قانونية".

مع البعث أو الناصريين؟

ما زلنا في موضـوع الإتحاد. لو سـلَّمْنا جدلاً أن خلافاً ما نشـأ في سـوريا بين البعث والناصـريين ففي أي صف يقف "الأهرام"؟ وكان بودي أن أسأله في أي صف تقف القاهرة.

أجاب هيكل: "تعبير "الناصـريين" تعبير مطاط جداً. ما هي مؤهلات الناصـريين الحقيقية؟ في إعتقادي أنها الإلتزام بمبادئ معيَّنة وليست مجرد رفْع صور عبد الناصر. وأذكر هنا عبارة كنتُ أسمعها دائماً من عبد الناصر، وقد قالها لبعض الزعماء العرب وهي "أنا أعتبر نفسـي مسـؤولاً عمَن أختار ولا أسـتطيع أن أكون مسـؤولاً عمَن

يختارني". وفي بعض المرات فإن هناك مَن رفعوا أعلام الناصرية بمنطق أنه ليس محبة في علي ولكن كُرهاً في معاوية.

وموقف "الأهرام" في حال حدوث خلاف بين البعث والناصريين في سوريا أن يكون على أساس التسميات وإنما على أساس المسميات. أي ليس على أساس الصور واللافتات وإنما على أساس القضايا والمبادئ".

علاقات القاهرة مع الدول العربية

قلت لهيكل: من منظار المراقب المطَّلع العارف هل لك أن تُحدد لي طبيعة العلاقات بين القاهرة وكل من الدول العربية الأُخرى؟

وأجاب:

"لي تحفُّظ على عبارة منظار المراقب المطَّلع العارف. أُفضِّل الإجابة عن السؤال بالصفة الأُولى وهي "المراقب"، وأما "المطَّلع العارف" فإن فيها نزعة صوفية لا أدعيها ولا أملكها ولا أريدها.

إذاً فلأتكلم على أساس "المراقب". من الواضح أن مجموعة دول ميثاق طرابلس تربطها علاقة خاصة وثيقة. بعد ذلك تأتي في الدرجة الثانية الكويت والسعودية نتيجة إلتزامهما بمساعدات الدعم. إن مصر تُحدد مواقفها كلها، وهذه قاعدة وضَعها عبد الناصر حيال كل الأوضاع العربية، من حيث تأثيرها العسكري والمادي على المعركة. أعود إلى موضوع التصنيف. إن مجموعة دول ميثاق طرابلس بالإضافة إلى المقاومة الفلسطينية لها أولوية معيَّنة. تأتي بعد ذلك الكويت والسعودية بصرف النظر عن النُظم الإجتماعية في كلتيهما. وهاتان الدولتان تأتيان في الدرجة الثانية من حيث مساهمتهما الفعلية في المعركة. بعد ذلك هناك مجموعة دول لا تقدِّم ولا تؤخِّر ولا داعي لتسميتها وعلاقتنا معها عادية.

تبقى مجموعة الدول التي قد تستطيع نظرياً أن تقدِّم شيئاً للمعركة لكنها عملياً لا تصنع إلاَّ أنها تؤخِّر. ومن الضروري من أجْل تصحيح المواقف أن تكون علاقات مصر بها محتاجة إلى عمل أكثر".

تفسير لدعوة التحييد

بسبب الدعوة التي أطلقها هيكل إلى تحييد أميركا قامت قيامة بعض عناصر الاتحاد الإشتراكي، بإيحاءات أو بشكل عفوي لا فرق، وشنت حملة عليه عبْر صحيفة "الجمهورية". وطلبتُ من هيكل تفسيراً لهذه الدعوة وما هو تقديره لما سيحدُث لو أنها لم تحقِّق هدفها، وأجاب:

"الذي قلته ولا أزال هو: هل تحييد أميركا مطلوب أو غير مطلوب وما هو معنى التحييد. لقد كان رأيي أن وسائل التحييد هي الضغط السوفياتي والقوة العربية والرأي العام العالمي، بحيث تُقنع الولايات المتحدة إختياراً أو إضطراراً بأن عليها أن تحدد دورها وموقفها.

ولنطرح هذا السؤال: هل إن فيتنام الشمالية إستطاعت في شكل من الأشكال تحييد أو تحديد دور الولايات المتحدة العملاقة؟

أنا أقول: نعم، لقد إستطاعت. إن الولايات المتحدة، من الناحية العملية، تملك القوة العسكرية التي تؤهلها للزحف على فيتنام الشمالية. كان هناك بعض القادة العسكريين الأميركيين، ومنهم الجنرال وستمورلاند، الذين ينادون بذلك، إلاَّ أن وجود الصين وراء فيتنام الشمالية واحتمال أن يتكرر في فيتنام الشمالية ما حدث في كوريا الشمالية – وأنا عشتُ ذلك بنفسي في كوريا وراقبتْه – جعل الولايات المتحدة مرغمة على تحديد دورها.

إن الولايات المتحدة لم تفعل ذلك إختياراً وإنما إضطراراً، لأن مخاطر العملية تصبح أكبر من أي مكاسب يمكن أن تحققها من غزو فيتنام الشمالية.

لقد مارس عبد الناصر عملية تحديد دور أميركا. أليست الولايات المتحدة هي التي طلبت من مصر أن تجربها وتعطيها فرصة؟ لقد جاء سيسكو إلى القاهرة في أبريل/ نيسان 1970 بعد التصاعد العسكري الذي نشأ نتيجة زيارة عبد الناصر السرية لموسكو في يناير/ كانون الثاني 1970 والتي إستطاع خلالها أن يتصاعد بالموقف وبإحتمالات المواجهة الكبرى المباشرة بين القوتيْن الأكبر إلى درجة جعلت واشنطن توفد سيسكو إلى القاهرة ليقول: جرِّبونا.

بعد ذلك حدثت تطورات مهمة أبرزها نداء عبد الناصر إلى الرئيس نيكسون في أول مايو/ أيار 1970 ومبادرة روجرز التي قبلناها. لقد إستطعنا أن نتصاعد بالموقف إلى درجة أن الولايات المتحدة أُرغمت على إعادة التفكير في الأمور.

ولنعد قليلاً إلى الماضـي. بداية عدوان 1956 سـحبت الولايات المتحدة عرض تمويل السـد العالي. ومع ذلك فعندما بدأ العدوان، ونتيجة لإحتمالات المواجهة النووية بين الدولتيْن الكبيرتيْن، نشأت ظروف فرضت على أميركا أن تكون في موقف مضـــاد للعدوان، مع أنها كانت ســـبب الظروف التي أدت إليه. في كل هذه الحالات كان المجتمع الأميركي هو هو، بتركيبته الرأسمالية وطبيعته الإستعمارية، لكن الظروف تفرض على الدول، ولإعتبارات خارجة عن أمانيها ورغباتها، أن تُحدد مواقف قد تبدو متعارضة مع هذه الرغبات والأماني.

كانت الولايات المتحدة سنة 1956 تتمنى تحقيق أهداف العدوان بوسائل أُخرى ومع ذلك إضطرت إلى الوقوف ضد العدوان نتيجة ظروف فرضت عليها موقفاً يختلف في ظاهره عما ترغب وتتمنى، وهذا أفاد مصر جداً. وإذا إستطعنا في الأزمة الحالية أن نخلُق الظروف الموضـوعية التي تحمْل الولايات المتحدة على إتخاذ موقف مشـابه لموقفها سـنة 1956، أو أقل من ذلك كثيراً، وهو المتاح حالياً بسـبب إختلاف الظروف على المسـتوى المحلي والدولي، فهل نتردد أم نحاول؟

ما هي وسـيلتنا للضـغط على الولايات المتحدة؟ إنني أرى أنه إذا إسـتطعنا أن نجبر أميركا، بشـكل ما وخلال ظروف معركة، بأن تمد العدو بعشر طائرات بدلاً من مئة طائرة، فإن ذلك مهم جداً.

ما الذي تفعله الصين الآن؟ ولماذا تَحركُها منطقي وتَحركُنا غير منطقي؟

لقد دعت الصين فرقة بنغ بونغ وحولت ذلك إلى تظاهرة سياسية تنشئ عبْرها جسراً من العلاقات الجديدة مع الولايات المتحدة. وقبْل أيام قال ماوتســي تونغ في حديث صــحافي مع إدغار ســنو إنه يرحب بزيارة يقوم بها للصين نيكسون رئيساً أو سائحاً.

لو أن عربياً قال هذا الكلام، ماذا سيحدُث له؟

هل إن الصين لم تَعد منبعاً من أهم المنابع الثورية في العالم؟

هل تلاشت تناقضاتها مع الولايات المتحدة؟

هل إنتهى الصِدام السافر بينهما، وهو صِدام عسكري في فيتنام وشبه عسكري في تايوان. هل إنتهى؟

إن الأمر الذي لسـنا قادرين على إدراكه في العالم العربي هو حقائق العصـر الحديث، هو أن الحرب العالمية أصــبحت للمرة الأُولى في التاريخ مســتحيلة، وبالتالي فإن على كل الأطراف في أي نزاع مســلح أن يدركوا هذه الحقيقة ويعرفوا أن لديهم وسيلة واحدة للتأثير على مواقف القوى الكبرى التي لن تتحارب في ما بينها، ولن تصـل إلى حد المواجهة المسلحة. الوسيلة الوحيدة هي العمل السياسي والتأثير السياسي.

أنا لا أقول بتحييد أميركا بالتزلف. أقول فقط بخلْق الظروف الموضوعية والعملية التي ترغم أميركا على تحديد (بمعنى تضـييق أو حصـر) موقفها، خاصـة إذا كنا على مجرى الصـراع الذي نخوضـه، سـوف نخوض لحظات حاسمة.

أمامنا أمر آخر: يجب ألاَّ نسـمح بإسـتقطاب كامل في معركتنا، أي نقف نحن وروســيا في ناحية، وأميركا وإسـرائيل في ناحية ثانية. نحن نأخذ أسـلحة من طرف، والطرف الآخر يزايد بهدايا وعطايا السـلاح، ثم لا تنتهي المعركة لأنها ســتبقى مرهونة بمخزون الدول الكبرى وتصــبح ميادينها ليســت ميادين قتال وإنما ميادين تجربة أسلحة".

لماذا جاء روجرز إلى القاهرة؟

السـؤال الأسـاسـي هو: لماذا جاء روجرز إلى القاهرة ولماذا جاء سـيسـكو مِن بَعده؟ وأنا كغيري، وهم كثيرون، يرون أن الجواب الأفضل عن هذا السؤال هو الذي يقوله هيكل. فما الذي يقوله؟

يقول:

"جاء روجرز إلى القاهرة لأن العمل السـياسـي في الأزمة ما زال يجري إسـتطراداً لبادرته. وبالتأكيد، فإن الأميركيين مهتمون بعناصـر جديدة في أزمة الشـرق الأوسـط، يفرضـها، في الواقع، تصـاعد الموقف بعد الزيارة السرية لموسكو التي قام بها عبد الناصر في يناير/كانون الثاني 1970".

وهل حققت الزيارة أي نتائج؟

يوضح هيكل:

"حققت أمراً لم يكن يحدُث من قبْل هو أننا نتكلم وجهاً لوجه ونتجادل ونتناقش وجهاً لوجه.

أما عن النتائج فلا أعتقد أنها حققت في الأزمة نفسها شيئاً، ولا أعتقد أنها سوف تُحقق، لأننا في صدد موقفيْن

متصادميْن متعارضيْن تماماً. موقف مصري يصر على إستعادة كل الأرض وموقف إسرائيلي يصر على إحتلال كل الأرض أو ضم بعضها على الأقل. وهذا صِدام قائم كامل لا يمكن حله بالكلام. من هنا إن الإرادات المحلية ستخوض الصراع، ومن المهم جداً أن نجعل هذا الصراع موكولاً إلى هذه الإرادات، ونحاول قدْر الإستطاعة تحويل دور الإرادات الدولية الكبرى إلى دور سياسي".

وإستطراداً لزيارة روجرز سألتُ الأستاذ المراقب هيكل كيف يتصور أزمة الشرق الأوسط لو أن عبد الناصر لم يرحل بعد؟

أجاب:

"هذا سؤال من أسئلة ما وراء الطبيعة، مرهون بالغيب ويصعب على إنسان أن يتصور جواباً عنه إلاَّ إذا كان هذا الإنسان قادراً بالفعل على تعمُّق فكر عبد الناصر وعلى الحياة في خلجات عقله وهذا أمر صعب.

إن أبرز شيء في عبد الناصر، وأنا أحد أكثر الذين يعرفونه، أن حواره مع الأحداث لا يتوقف، وإستجابته للتطورات كانت إستجابة خارقة.

وبالتالي فأنا لا أعرف ما الذي كان سيفعله عبد الناصر وما هي المواقف التي كان سيتخذها. إن الإجابة عن هذا السؤال صعبة جداً وإن كنتُ أحياناً في تفكيري الخاص أحاول".

الأزمة وتفاهم الطرفين

قلت لهيكل: هل تعتقد، وأنت الذي تعرف بالعقلية الأميركية ورافقتَ العقلية السوفياتية من خلال التعامل الرسمي المصري مع موسكو، أنه يمكن الولايات المتحدة أن تحل أزمة الشرق الأوسط إذا لم يكن هنالك تفاهم بين الطرفيْن على ذلك؟ أجاب:

"بالقليل الذي أعرفه عن العقلية الأميركية فأنا لا أستبعد أن تفكر في حل أميركي للأزمة وقد تتمناه، لكن ذلك في الحقيقة أمر سطحي. إن حقائق العالم وحقائق المنطقة لا تسمح في أي أزمة دولية بحل أميركي صرْف أو حل سوفياتي صرْف".

مستقبل المقاومة الفلسطينية

منذ قيام الثورة الفلسطينية وهيكل من أكثر المتعاطين فيها. وهو الذي قدَّم ياسر عرفات إلى عبد الناصر وهو الذي حل أكثر من إشكال وذلل أكثر من عقبة. ومن الطبيعي، بعد اللحظات المفجعة التي تعرضت وما زالت تتعرض لها المقاومة الفلسطينية، أن أسأل هيكل عن تَصوره لمستقبل المقاومة.

وكان جوابه:

"إن المقاومة الفلسطينية من أهم الظواهر وأنبلها على الساحة العربية بعد حرب 1967، لكن المقاومة تركت تناقضات العالم العربي تشدها من ناحية، وبدت لها من ناحية أُخرى لعبة السياسة العربية مسلية فدخلت فيها، وكانت النتيجة أنها خسرت في الحالتيْن سواء عن طريق الجر أو عن طريق الإنسياق. والمهم الآن هو روح المقاومة الفلسطينية وروح الثورة وهل تستطيع أن تُحقق لنفسها بعثاً جديداً من وسط أنقاض وحطام الفترة الماضية. إن واجب الأمة العربية كلها أن تساعد المقاومة على ذلك".

الحل في المعركة

كان هيكل دائماً، وما زال، يرى أن الحل في المعركة. وقبْل نحو 3 أسابيع من حلول الذكرى الرابعة لهزيمة 5 حزيران 1967 رأيتُ أن أسأله وهو المتابع والمطَّلع، عما يحولُ دون هذه المعركة، ومَن الذي سيحارب إسرائيل لو قامت هذه المعركة؟ وأجاب:

"لا أزال أعتقد أنه لا حل إلاَّ في المعركة، ولا أزال أعتقد أن أي وقت يُصرف في تهيئة أفضل الظروف العسكرية والسياسية والعربية والدولية للمعركة هو وقت غير ضائع، وأنا واثق من أنه لو قامت هذه المعركة فإن مصر هي التي ستحارب إسرائيل وأتمنى أن يشاركها الآخرون".

دور الديبلوماسية المصرية

والديبلوماسية المصرية، هل استنفدت مهمتها؟ سألت هيكل.

أجاب:

"ليس هناك ديبلوماسية تستنفد مهمتها. مهمة الديبلوماسية أن تظل تتكلم بإستمرار وتتحرك بإستمرار، ودورها

بعد انطلاق المدافع لا يقل عن دورها خلال فترة إنطلاق المدافع أو التحضير لإطلاقها".

* * *

نهاية لهذا الحديث الذي طال أود أن أسـجِّل أمريْن. الأول اعتقاد هيكل الكبير أن السـمة الوحدوية هي أبرز قسـمات الثورة الليبية وأن ليبيا التي كانت معزولة دائماً سـتبقى بعد مشـاركتها في اتحاد الجمهوريات العربية، منطلَق عمل وحدوي جدي.

الأمر الثاني يتعلق بالزيارة التي قام بها روجرز لمبنى "الأهرام" وهذه لها قصـة. فقبْل أن يصـبح روجرز وزيراً للخارجية الأميركية كان محامياً لـ "الأسـوشـييتدبرس" و"الواشـنطن بوسـت". إذاً فإنه يعرف كثيراً عن الصـحافة وعملها. وعندما كان في القاهرة قال لمضـيفه وزير الخارجية المصـرية السـيد محمود رياض إن عدداً من الصـحافيين حدثوه عن مبنى "الأهرام" وقالوا له إنه أحدث مشـروع صـحافي في العالم. وسـأل رياض إذا كان في إمكانه التفرج على هذا المبنى. كان ذلك خلال مأدبة عشـاء دُعي إليها هيكل وعندما أبدى روجرز رغبته أمام رياض في زيارة "الأهرام" تطلَّع رياض نحو هيكل فرحب رئيس تحرير "الأهرام" بالفكرة بعدما عرضها رياض.

وهنا يضـيف هيكل: "لقد جاء روجرز إلى "الأهرام" لزيارة المبنى وليس لزيارتي في مكتبي، ومع ذلك فأنا رحبتُ به في مكتبي، وإنه لأمر مهم من أجل الصـحافة وكرامتها أن يقوم أي مسـؤول، خاصـة إذا كان عالي الشأن، بزيارة صحافي في مكتبه".

نُشرت هذه الحلقة من الحديث في صحيفة «النهار» – عدد الثلاثاء 16 مايو/أيار 1971

هيكل يتكلّم في "النهار" بعد سقوط الرؤوس الكبيرة

• لا علاقة بين اقالة علي صبري وحملة بعض المسؤولين في الاتحاد الاشتراكي عليّ
• زيارة روجرز لم تحقق نتائج لكن لا أستبعد سفر بعوث مصري إلى واشنطن
• عروبة مصر ليست موضع مناقشة أو شك وعبد الناصر لم يصنعها بل اكّدها

القاهرة ــ من فؤاد مطر :

الى الان لم يخلع محمد حسنين هيكل ربطة العنق السوداء . كان بدأ استعمالها بعدما رحل جمال عبد الناصر . وفي أول السنة الجديدة (١٩٧١) خلع الربطة السوداء وحاول استبدالها بربطة عنق ملونة ، وبمجرد ان لف بها عنقه عاد ووضعها جانبا ووضع بدلا منها الربطة السوداء . كان شعورا عفويا لا يعرف اي تفسير له .

متى يستبدل ربطة العنق السوداء بربطة فيها الوان أو على الاقل فيها اللون الازرق الذي كان يحبه عبد الناصر ؟ لا يعرف . قد يكون ذلك بعد مرور الذكرى الاولى على رحيل القائد الكبير .

والى الان فان هيكل ، وهو للمناسبة أحد القلائل بين رجال عبد الناصر الذين لم يستبدلوا ربطة العنق السوداء بربطة ملونة ، يحرص باستمرار على أن يزور عائلة عبد الناصر في منشية البكري .

بالاضافة الى ذلك ، فان اسرة عبد الناصر موجودة او ممثلة وظائفيا في « الاهرام » . فالابنة الكبرى هدى تدير مركز دراسات عبد الناصر الذي انشأه هيكل في « الاهرام » ، وزوجها حاتم صادق يدير مركز الدراسات الفلسطينية في « الاهرام » بالاضافة الى قيامه باعمال كتابية وتحريرية ، والابنة الثانية منى تعمل في دار المعارف أرقى مؤسسة نشر في القاهرة ويرأس مجلس ادارتها هيكل .

وقد فرغ هيكل من اعداد كتاب عن عبد الناصر سيصدر بالانكليزية في مطلع ١٩٧٢ وهو لا يروي فيه قصة عبد الناصر وانما يركز على بعض المواقف السياسة في حياة الراحل .

وبين اول حديث اجريته مع هيكل والحديث الثاني هذا نحو عشرة أشهر .

الحديث الاول كان في آب ١٩٧٠ . يومها كانت الظروف ساخنة . كانت المواقف معقدة . كان الوضع العربي مزيجا من الارتباك والتجاذب والصراعات المبطنة والعلنية والسرية .

اليوم قد يبدو الموقف نبيها بعض الشيء بتلك المرلة الصعبة .

الحديث الاول الذي اريته مع هيكل كان ايام عبد الناصر ، والحديث الثاني اجريه بعد نحو تسعة اشهر من رحيل عبد الناصر .

وفي هذه المدة ما زال هيكل على تألقه . ما زال شغل المصريين والعرب والكثيرين الكثيرين خارج الحدود الممتدة من المحيط الذي يصر على القول انه كان هادرا ، الى الخليج الذي يصر على القول انه كان ثائرا .

وخلال حديثي الثاني مع هيكل وقفت منه على امرين . الاول انه لا يستبعد ان يقوم مبعوث مصري بزيارة واشنطن ردا على الزيارة التي قام بها وزير الخارجية الاميركية السيد وليم روجرز . والثاني ان عبد الناصر كان اختار اسم «الجمهوريات العربية المتحدة» بدلا من « اتحاد الجمهوريات العربية » اسما للاتحاد الذي أعلنت احكامه الاساسية في بنغازي . فهمت من هيكل ايضا ان اعلان هذه الوثائق كان سيتم في قاعدة جمال عبدالناصر في طبرق ثم اختيرت بنغازي لاعلان ذلك .

ما هو وضع هيكل الآن ؟

التساؤلات الاساسية المطروحة لدى الكثيرين داخل مصر وخارجها تتعلق بوضع هيكل . هل ما زال كما كان ايام جمال عبد الناصر ، وهل يمكن الافتراض انه يشارك ، بشكل او بآخر ، في مواقع السلطة ؟

ويجيب هيكل :

« اقولها بامانة انني بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر فكرت جديا في ان اعتزل كل عمل عام وانصرف الى الكتابة عن المرحلة الماضية . كنت سافعل ذلك لولا اعتبار مهم واساسي هو انه على التراب المصري احتلال . لولا ذلك لابتعدت حتى عن الصحافة . والمسالة لم تكن مجرد قضية شخصية او صدمة عاطفية . فانا كنت رئيس تحرير قبل الثورة لكن الانسان يعيش احيانا فترة يشعر فيها انه ينتمي الى شيء ما او انه ملتزم بقضية ما . واذكر هنا عبارة قالها لي عبد الناصر غير مرة وهي « لقد جندتك » . قبل الثورة كنت صحافيا متحركا لا تربطني اي قيود . كنت اغطي العالم كله . بعد الثورة استطاع عبد الناصر ان يوجد عنصر الاستقرار والالتزام في حياتي . لقد حول ذلك من التزام وطني عام الى التزام محدد .

واعدت النظر في قراري ، قرار الابتعاد عن الصحافة ، بعد فترة تفكير طويلة . لقد رحل عبد الناصر يوم ٢٨ ايلول وكان الدفن يوم اول تشرين الاول واستقلت يوم ٣ تشرين الاول . قررت الاستقالة وكتبتها بالفعل واخترت اليوم الثاني للدفن وتوجهت الى الرئيس السادات يوم السبت ٣ تشرين الاول وقلت له انني افكر في ترك « الاهرام » والوزارة . كنت اعتقد ان التجربة التي قمت بها تكفي وان هنالك مرحلة مقبلة لا بد لوجود من يعبر عنها .

ورفض السادات العرض . وبعد مناقشات طويلة معه طلب مني البقاء الى ما

صورة نادرة لعبد الناصر وهيكل في اسوان ، ويبدو الرئيس الراحل والى جانبه

هيكل مع اصغر اولاده حسن .

لقد دعت الصين غرقة بنغ يونغ وحولت ذلك الى تظاهرة سياسية تنشيء عبرها جسرا من العلاقات الجديدة مع الولايات المتحدة . وقبل ايام قال ماوتسي تونغ في حديث صحافي مع ادغار سنو انه يرحب بزيارة يقوم بها للصين نيكسون رئيسا او سائحا .

لو ان عربيا قال هذا الكلام ، ماذا سيحدث له ؟

هل ان الصين لم تعد منبعا من اهم المنابع الثورية في العالم ؟

هل تلاشت تناقضاتها مع الولايات المتحدة ؟

هل انتهى الصدام الساخن بينهما ، وهو صدام عسكري في فيتنام وشبه عسكري في تايوان . هل انتهى ؟

ان الامر الذي لسنا قادرين على ادراكه في العالم العربي هو حقائق العصر الحديث . هو ان الحرب العالمية اصبحت للمرة الاولى في التاريخ مستحيلة ، وبالتالي فان على كل الاطراف في اي نزاع مسلح ان يدركوا هذه الحقيقة ويعرفوا ان لديهم وسيلة واحدة للتأثير على مواقف القوى الكبرى التي لن تتحارب في ما بينها ، ولن تصل الى حد المواجهة المسلحة . الوسيلة الوحيدة هي العمل السياسي والتأثير السياسي .

انا لا اقول بتحييد اميركا بالتزلف . اقول فقط بخلق الظروف الموضوعية والعملية التي ترغم اميركا على تحديد ... بمعنى تضييق او حصر موقفها ، خاصة اذا كنا على مجرى الصراع الذي نخوضه ، سوف نخوض لحظات حاسمة .

امامنا امر اخر : يجب الا نسمح باستقطاب كامل في معركتنا ، اي نقف نحن وروسيا في ناحية ، واميركا واسرائيل في ناحية ثانية . نحن نأخذ اسلحة من طرف ، والطرف الاخر يزايد بهدايا وعطايا السلاح ، ثم لا تنتهي المعركة لانها ستبقى مرهونة بمخزون الدول الكبرى وتصبح مباديئها ليست مباديئ قتال وانما مباديئ

الحديث الثاني الذي أجراه فؤاد مطر
مع محمد حسنين هيكل

محمد حسنين هيكل: هذا الرجل هاجسه العصر. في كل عمل يقدِم عليه يبني حساباته على مفاهيم العصر. في حديثه عن السياسة، عن الحرب، عن الإقتصاد، عن المستقبل، يقيس الكلام بالمقاييس العصرية.

وهو يحلم بمصر التي تواكب روح العصر. يحلم بالمواطن العصري، بالجندي العصري. في الستينات كان يتطلع إلى ما ستحمله السبعينات. وفي السبعينات سيتأمل كثيراً في ما قد تحمله الثمانينات في طياتها.

وأهمية هذا الحديث معه أنه تمّ في وقت يتصاعد كل شيء. الحديث عن الحرب يتصاعد. الحديث عن السلم يتصاعد. الحديث عن المزايدات العربية يتصاعد. الحديث عن مستقبل مصر يتصاعد... والحديث عن العلاقة المصرية – الفلسطينية يأخذ بعداً جديداً لكنه في أية حال لن يصل إلى مرحلة الإنتكاسة حرصاً من الثورة المصرية على الثورة الفلسطينية.

والأسئلة التي طرحتُها على الصحافي – الوزير هيكل فرضتها الظروف التي نشأت عن قبول مصر المقترحات الأميركية، إلاَّ أن الأجوبة تجاوزت الظروف إلى المستقبل. ولذا بدت الإيضاحات في بعض الأحيان مواقف وخطة عمل.

إننا في حاجة إلى إنتصارات أُخرى

سؤال: عندما قبلت مصر قرار مجلس الأمن كانت مضطرة بسبب خروجها من نكسة، لكنها عندما قبلت مقترحات روجرز فإن وضعها كان مختلفاً كثيراً. أليس من حق الجماهير العربية أن تتساءل: كيف يجوز قبول المقترحات الأميركية في ظل إنتصارات عسكرية براقة أبرزها إسقاط عدد من طائرات "الفانتوم" وأسر عدد من الطيارين؟

جواب: عندما صدر قرار مجلس الأمن يوم 22 نوفمبر/ تشرين الثاني 1967 لم يكن يمثل قوانا الذاتية. كان صدوره في ذلك الوقت أكثر مما نستحق. وبعد 3 سنوات قاتلنا ونجحنا وأسقطنا طائرات "فانتوم" وأسرنا طيارين. لكن لا يزال المطلوب منا قتالاً أكثر لكي ينفَّذ قرار مجلس الأمن. إن أي تعاقد في أية تعهدات في العالم تحدّده موازين القوى.

هنالك نقطة أساسية. إذا أراد العرب أن يتراجعوا عن قرار مجلس الأمن فمن السهل عليهم تنفيذ ذلك بكلمة. أما إذا أرادت إسرائيل أن تتراجع عن تنفيذ القرار فإنها مضطرة إلى خوض حرب جديدة تستولي فيها مرة أُخرى على الأرض التي تكون قد انسحبت منها بموجب القرار. إننا على أية حال لا نزال في حاجة إلى إنتصارات أُخرى لتحقيق قرار مجلس الأمن. إن إسرائيل تريد التوسّع. والانسحاب هو النقطة التي ستكون أساس المشكلة.

إستئناف العلاقات ليس مطروحاً

سؤال: لقد عبأ الإعلام المصري الرأي العام على أساس أن الولايات المتحدة هي عدوة الأمة العربية ومع ذلك قبلت مصر مقترحات عرضتها هذه الدولة. هل كان القبول معناه أن الولايات المتحدة لم تعد عدوة، وإستطراداً، هل يمكن الإفتراض أن هناك إحتمالاً لإستئناف العلاقات الديبلوماسية بين القاهرة وواشنطن؟

جواب: مما لا شك فيه أن هناك عداء بين الولايات المتحدة والأمة العربية. بيننا وبين إسرائيل صراع حياة أو موت، أما الذي بيننا وبين الولايات المتحدة فليس كذلك. إن الولايات المتحدة تعادينا بعدما ثبت لها أن إسرائيل خير مَن يضمن لها مصالحها في المنطقة عن طريق إخضاع العرب.

إن الولايات المتحدة استمرت تضرب فيتنام الشمالية بالقنابل من 1965 إلى 1969، وفي اللحظة التي أوقفت

الضرب جلس الطرفان إلى طاولة المفاوضات.

نحن في عداء مع الولايات المتحدة. وهذا العداء ليس هدفه القضـــاء عليها. نعادي الولايات المتحدة بســـبب سياستها.

لقد أدرك الفيتناميون الشماليون أن عداءهم مع الولايات المتحدة هو عداء سياسي ولذا جلسوا يتفاوضون معها، أما عداؤهم مع فيتنام الجنوبية فإنه عداء وجود.

لقد حاربتنا فرنسا سنة 1956، وتعقبناها لإرغامها على الإقتناع بأن سياستها فاشلة ولنؤكد أن الصداقة أفضل من العداء.

أما موضــوع إســتئناف العلاقات الديبلوماســية بين القاهرة وواشــنطن فإنه ليس مطروحاً، لأن عداء الولايات المتحدة لنا سيستمر إلى أن نتمكن من إقناعها بأن سياستها هذه باهظة التكاليف بالنسبة إليها.

وماذا بعد ذلك؟

ســـؤال: هل أن تردد إســـرائيل في قبولها المقترحات الأميركية وتأخرها في الرد وما رافق هذا التأخير هي مظاهر حيرة أم مظاهر ديموقراطية؟

جواب: إن طبيعة المجتمع الإسرائيلي تجعل من المستحيل أن تكون فيه ديموقراطية. إنه مجتمع عنصري يمارس ما يريد النظام تحقيقه بالوسائل البوليسية. يضاف إلى ذلك أن إسرائيل تعاني من مشكلة الأمن. وهذه المشكلة، بالإضافة إلى الطبيعة العنصرية، تجعل من الصعب وجود الديموقراطية.

إن التردد في الرد على المقترحات وما رافق هذا التردد ســببه الحيرة. وإســرائيل عاجزة عن الرد لأن مشــكلة المدى البعيد طرحت نفسها. صحيح أن إسرائيل انتصرت في حرب 1967، لكن المطروح الآن هو: وماذا بعد ذلك؟

الموضوع الأساسي هو الأرض

سؤال: الآن بعدما قبلت مصر المقترحات الأميركية ما الذي تنتظرونه من واشنطن؟ هل هناك خطوات أخرى على الطريق؟

جواب: أنا ضعيف الأمل في أن المبادرة الأميركية ستصل إلى نتيجة. وأريد أن أطرح هذه التساؤلات برغم أية تظاهرات بالقبول سوف تطرحها إسرائيل: هل أن الإئتلاف الحاكم في إسرائيل يقبل بالإنسحاب طبقاً لقرار مجلس الأمن؟ وهل يرضـــى الإئتلاف الحاكم بوقف إطلاق نار موقت بدل وقف إطلاق نار دائم؟ وهل يوافق الإئتلاف الحاكم على التنازل عن مطلب المفاوضات المباشرة؟

إنني أتصور أن إسرائيل ستقبل المقترحات الأميركية بعد أن تثير العراقيل. وهي إذا قبلت فتحتَ تأثير القبول العربي. وعندما أعلن الرئيس عبد الناصر أنه يوافق على المقترحات من دون شروط فإنما إستهدفَ قطع الطريق على أية مناورة. لكن الإئتلاف الحاكم في إســرائيل ســيناور مســتغلاً ما يجري في العالم العربي الآن. ســيناور لإحداث إنقسام في العالم العربي لتفادي حدوث إنقسام في إسرائيل.

والموضوع الأساسي هو الأرض. لقد إتخذت مصر موقفاً مبدئياً وهو أن الأرض لا أحد يملك حرية التصرف بها. في السياســة يمكن أن يقول أي واحد ما يريده، أما التصــرف بالأرض المصــرية أو بأية أرض عربية فليس مطروحاً. وأكرر: لا يمكن إستخلاص الأراضي العربية إلاَّ بالقتال.

المبادرة الأميركية لم تأت طواعية

سؤال: هل كانت مصر ستقبل المقترحات الأميركية لو أن إسرائيل وافقت عليها قبلها؟

جواب: المقترحات الأميركية فرضــتها ظروف أبرزها القدرة الذاتية المصــرية وإمكان بناء جيش قوي. لقد أعيد بناء الجيش على مستوى حديث جداً. وتبقى مشكلة التفوق الجوي.

إن الكلام الذي قيل عن الإتحاد السوفياتي من أنه يريد إستمرار الأزمة لتدعيم نفوذه كلام غريب. لقد شاركتُ في محادثات موسكو ولمستُ الإستجابة العملية من القادة السوفيات. إن تجاوبهم مع ما طلبه الرئيس عبد الناصر لمواجهة غارات العمق أوضح أنهم متفهمون ومقتنعون.

إن ما يهم الإتحاد السوفياتي هو عدم تمركز الولايات المتحدة وراء ظهره. يهمه أيضاً ألاَّ تبقى مسيطرة ويبقى البحر الأبيض المتوسط بحيرة أميركية. إن المصالح الإستراتيجية للإتحاد السوفياتي تلتقي مع صداقته لنا.

في الأيام الأُولى من تسلُّم نيكسون الحكم كان مهتماً بمشكلة الشرق الأوسط. وكانت لعبة إسرائيل التي مارستها قائمة على أساس أن المواجهة لن تؤدي إلى حرب. ثم أهمل الرئيس الأميركي المشكلة. وفي تلك الفترة عُرضت علينا مشاريع كثيرة آخرها كان المشروع الذي قدمه روجرز في نوفمبر/تشرين الثاني 1969 ولم نرد عليه لأنه كان يستهدف تجزئة الأزمة ولأنه كان محاولة بعث جديدة لمشروع راسك. رفضنا ذلك وكنا لم نُسقط بعد طائرات فانتوم ونأسر طياريها.

ثم بدأ الميزان الدولي يتحرك. والمبادرة الأميركية لم تأت طواعية وإنما لضغوط فرضتها أوضاع سياسية عربية أهمها ثورة ليبيا بالإضافة إلى التبدل الجذري في الوضع العسكري المصري.

إن القرار المبدئي بقبول المبادرة الأميركية بُحث في ليبيا خلال التجمع الذي جرى لمناسبة إحتفالات الجلاء. وبعد تحليل للمقترحات التي عرضها روجرز كان الإتجاه بعد طول تفكير أن قبولها أمر وارد، حتى أن عدداً من رؤساء الدول الذين كانوا هناك عرفوا أن قبولنا للمقترحات وارد أكثر من رفضها. وشرحنا وجهة نظرنا، وكنا نعتقد أنه يصعب على إسرائيل قبول المقترحات وأن الولايات المتحدة برغم إلتزامها الدائم بإسرائيل لا يمكنها أن تقبل أن تفرض عليها العناصر المتطرفة في إسرائيل حالة مجابهة مع الاتحاد السوفياتي، تماماً كما أن الاتحاد السوفياتي لن يسمح لأي تطرف من جانبنا أن يفرض عليه حالة تؤدي إلى مجابهة مع الولايات المتحدة.

وأعود إلى التأكيد أن قوتنا العسكرية التي وصلنا إليها بالإضافة إلى موازين القوى الدولية هي التي اضطرت الولايات المتحدة إلى تقديم المقترحات.

من أجْل المحافظة على عروبة مصر

سؤال: يلاحظ أن تيار الوطنية المصرية يتزايد. كيف تفسر هذه الظاهرة؟ وهل من شأن هذا التيار أن يحد من التطلعات العربية لثورة 1952؟

جواب: مما لا شك فيه أن أي بلد بعض أراضيه محتل يتزايد إحساسه الوطني، خاصة إذا كان هذا البلد كمصر ذا أقدم حدود مرسومة في التاريخ. إلاَّ أنه يجب ألاَّ يُعتبر أن الإحساس الوطني في مثل هذه الظروف يتعارض مع الإنتماء القومي. إن ظهور تيار الوطنية المصرية لأن هناك قسماً من الأراضي محتل أمر عادي. ويجب ألاَّ يغيب عن بالنا أنه حتى الثورة الفلسطينية تعبِّر عن شعور وطني. وعلى أية حال فإن العامل القومي لا يلغي الإحساس الوطني.

إن أمام العالم العربي خارج مصر مشكلة كبيرة. فواجبه ليس فقط أن يحارب من أجْل الأراضي المحتلة، وإنما عليه أن يقاتل ويبذل جهداً من أجْل المحافظة على عروبة مصر.

إن المصريين يفكرون دائماً في مسؤولياتهم القومية. وظهر ذلك واضحاً خلال الجلسة التي عقدها المؤتمر القومي للإتحاد الإشتراكي العربي وأجاب فيها الرئيس عبد الناصر عن أسئلة قدمها أعضاء المؤتمر. إن مضمون الأسئلة كان يُعبِّر عن هاجس المصري إزاء سوريا ولبنان والأردن والمقاومة الفلسطينية. وللأسف فإن أحداً خارج مصر لا يُقدِّر ظروف مصر وما يجب أن يفعله لها.

ينبغي أن يعرف العالم العربي أن عليه أن يساعد العناصر العربية في مصر المؤمنة بعروبة مصر. ذلك أنه إذا كان هناك بلد عربي عنده إمكانات الإنفصال فهو مصر. لقد عاش الشعب المصري فترة من تاريخه في عزلة عن العالم العربي. فهو يملك مقومات الدولة وإمكانات بناء تقدم منعزل وهذا أمر غير متوافر في أي بلد عربي غير مصر. ومن شأن زيادة الضغط على مصر إلى حد التشهير الرخيص كما نرى الآن أن يُحدث مراجعات خطيرة.

إننا دائماً نقول الجولان أولاً. القدس أولاً. الضفة الغربية أولاً... ثم سيناء. فإذا كانت هناك عناصر عربية تعتبر أن مصر عاجزة وتعبِّر عن عجزها بالكلمات فإن هذه العناصر تغالط الواقع. إن مصر تحارب وحدها أما الآخرون فإنهم يحاربون بالكلمات. وعندما يرون أن مصر لا تحارب – كما تتصور خيالاتهم – فإنهم بدلاً من أن يحاربوا معها أو يحاربوا بدلاً منها يتحولون إلى محاربتها وليس إلى محاربة العدو.

إسرائيل لن تنسحب بالطرق الديبلوماسية

سؤال: هل تتصور أن قرار مجلس الأمن يمكن أن يوضع موضع التنفيذ وتقر الأمة العربية بوجود إسرائيل، ويصبح لإسرائيل الحق في المرور في قناة السويس. وهل يعرف المصريون أن قرار مجلس الأمن الذي نطالب

بتنفيذه يقر بوجود إسرائيل؟

جواب: إن قرار مجلس الأمن نشر كنص كامل في مصر، وليس هذا هو السؤال. إن السؤال هو: هل تنسحب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها عام 1967 بصرف النظر عن أي قرار؟ إذا إنسحبت فسيكون ذلك برهاناً على فشل سياسة القوة التي تنتهجها الطبقة الحاكمة في إسرائيل.

إن إسـرائيل لن تنسـحب بالطرق الديبلوماسـية. لن تنسـحب بالطرق الديبلوماسـية. لن تنسـحب بالطرق الديبلوماسية.

سؤال: ما هو الوعاء الذي سيستوعب الظروف التي ستنشأ عن تنفيذ التسوية السياسية لأزمة الشرق الأوسط؟ هل هي الوحدة الوطنية، هل هي الوحدة العربية، هل هي التنمية، أم ماذا؟

جواب: وهل ستنسحب إسرائيل؟ إن المشكلة لن تحل إلاَّ بالقوة السياسية بما فيها القوة العسكرية.

نحن نبني جيشاً للسبعينات

سـؤال: ما الذي يحول دون المعركة الكبيرة. إن ما يصدر عن القاهرة يشير إلى أن الإستعداد في درجاته القصوى، والسلاح متوافر، والشعب معبأ، والقوات المسلحة أقسمت على تحرير الأرض المغتصبة، والرئيس وعد بذلك؟

جواب: الحرب الحديثة معقدة جداً. القضية ليست قضية شعب معبأ وسلاح متوافر وأداء قَسَم التحرير. هناك تصـاعد في علم الحرب. في تكنولوجيا الحرب. إن الحرب التي جرت عام 1967 إنتهت. حرب الضـربة الجوية والمدرعات والطوابير المتقدمة في الصحراء انتهت. لقد بنينا جيشاً بعد 1967 للحرب التي انتهت، ودخول الحرب الإلكترونية يتطلب جيشـاً من نوع جديد. إنه منذ ما بعد حرب 1967 يجري العمل لبناء جيشـين. الجيش الذي إنتهينا من بنائه كانت مواصفاته مطابقة لمواصفات الستينات. ويجري الآن بناء جيش طبقاً لمواصفات السبعينات وهو جيش الحرب الإلكترونية.

إنه ليس في إستطاعة العرب أن يخوضوا حرباً جديدة ويُهزموا، ولذا فإنه لا بد من تغطية فجوة كبيرة من أجْل ضـمان المعركة الكبيرة. الحرب المقبلة هي حرب الإلكترونات. ومنذ سـنة ونحن نبني جيشـاً للسـبعينات. لحرب الإلكترونات. فأنت لا تستطيع أن تخوض معركة السبعينات بجيش الستينات.

والمشـكلة ليسـت في إحصـاء عدد الدبابات كما يفعل بعض الأخوان. إن الدبابات الآن كلها تعمل بالأشـعة تحت الحمراء. الدبابات الآن تعمل في الليل.

إنه ليس من السـهل أن تقول لماذا لا تخوض الحرب ما دام لديك 650 ألف مقاتل وتملك عدداً كبيراً من الدبابات. إن عملنا الآن يجري كله من أجْل حرب السبعينات وبأسلوبها وليس بأسلوب حرب الستينات.

في الجبهة الشرقية إرادات كثيرة

سـؤال: هل إنتهى أمر قيام الجبهة الشـرقية أم أن قيامها لا يزال وارداً؟ ومَنْ وقَفَ دون قيام هذه الجبهة حتى الآن؟

جواب: إنه تحت أي ظرف من الظروف ينبغي ألاَّ ينتهي أمر الجبهة الشرقية. إن سياسة مصر كانت حتى الآن وستبقى كالآتي:

أولاً: أن تكون الجبهة المصرية قادرة على مواجهة العدو وحدها إذا اقتضت الظروف ذلك.

ثانياً: إنه من الضروري لتحقيق النصر أن تكون هنالك جبهة شرقية.

وحتى الآن لم تقم جبهة شـرقية كما يجب أن تكون، لكن نفضّ الأيدي من موضـوع الجبهة الشـرقية ترف لا تستطيع الأمة العربية أن تدفع ثمنه. وإذا كان هناك صبر سياسي من مصر على بعض الأمور التي تحدث في المشـرق فمرده – ولا بد لدول الجبهة الشـرقية أن تدرك ذلك – الحرص على عدم سـد الطريق أمام قيام هذه الجبهة، وليس الخوف من أحد.

إننا ندرك العقبات. على الجبهة المصـرية هنالك إرادة واحدة. أما في الجبهة الشـرقية فهنالك إرادات كثيرة ومتعارضة ومفككة في داخلها، وهذا يعود إلى أسباب تاريخية وسياسية.

وبرغم ذلك كله ينبغي ألاَّ نيأس، وأن ينتهي أمر الجبهة الشـرقية. وعلينا أن نأمل في إقامة جبهة شـرقية ولو نصف قادرة.

"زعلان من إيه"؟

سـؤال: ما هي طبيعة العلاقات بين مصـر والدول العربية. يلاحظ أنه حتى الآن لم ترد القاهرة على الدول التي تزايد بسبب قبول مصر المقترحات الأميركية؟

جواب: في هذا السؤال اسمح لي بأن أنتقل من مقعد وزير الإرشاد إلى مقعد رئيس تحرير "الأهرام". وما دامت عندي هذه الإزدواجية فمن حقي أن أمارسها.

الواضح أن نظاماً واحداً قام بهذه المزايدات وهو الحكم الحالي في العراق.

إن مشـكلة الحكم القائم في العراق أنه في مرحلة من المراحل كان يبحث عن صـداقات. لقد تصـوّر أن في إمكانه أن يبني قيمة له على أساس صـداقة. وبما أن هذا الحكم بطبيعته غير منفتح على الصـداقات، وماضـيه يجعل من الصـعب على أحد أن يثق به، فإنه اندفع حديثاً في بناء علاقاته على أسـاس العداوات. ونحن من جانبنا غير مسـتعدين لأن نعاديه. عندنا تحفظات كثيرة عليه لكن مصـر تتجاوز هذه التحفظات من أجْل الجبهة الشرقية. وبتعبير آخر ليست مصر مستعدة لإعطاء النظام القائم في العراق شرف الصداقة معها ولا حتى شرف العداوة معها.

وبالتالي فإن ما يحدث في العراق الآن واضح أن فيه الإفتعال: إفتعال الإنفعال ضد مصر.

والنظام القائم في العراق "زعلان من إيه؟" إنه ليس الذي أرسل القوات العراقية إلى الجبهة الشرقية. وتستطيع الحكومة العراقية بدل تنظيم مسيرات في شوارع بغداد وإطلاق الشعارات أن ترسل فرقاً إلى الجبهة.

إن القوة العراقية في الأردن متقيدة – بأمر قيادتها السـياسـية – بوقْف إطلاق نار غير محدود. فلا هي تطلق النار على العدو ولا العدو يطلق عليها النار. إن النظام القائم في العراق يتهم مصـر بأنها لا تريد أن تحارب مع أن مصـر هي الوحيدة التي تحارب. وعلى افتراض أن هذا الكلام صـحيح فإنه كان على نظام العراق أن يحارب لأننا لا نحارب، لا أن يحاربنا لأننا في رأيه لا نحارب.

"فتح" لها قيمة خاصة

سؤال: إن تطورات الموقف الذي نشأ عن قبول مصر المقترحات الأميركية تشير إلى أن إنقساماً سيتكرس في المنطقة العربية. ماذا أعدت القاهرة لمواجهة هذا الإنقسام؟

جواب: إننا نعمل كل جهد إنساني ممكن كي لا يحدث انقسام. وإذا حدثت ظاهرة انقسام ففي الإمكان تخطيها وأتكلم عن طرفيْن:

الأول: وهو طرف الجماهير العربية الطيبة المؤمنة التي فاجأها التحرك السياسي المصري بضروراته مع ثقتها بمصـر. وهذا طرح في أذهان الناس الكثير من التسـاؤلات. وواجب مصـر ألاَّ تكف عن توضـيح دوافعها عقلانياً أمام هذه الجماهير التي هي الرصيد الذي لا ينتهي لدور مصر العربي.

الثاني: المقاومة الفلسـطينية وبالذات "فتح". إن "حركة فتح" بين جميع الأطراف الموجودة على السـاحة الفلسطينية لها قيمة خاصـة. وإن مصـر مطالَبة بأن تدرك ظروف "فتح" في الساحة الفلسطينية الحافلة بالضـغوط النفسية والإجتماعية والتناقضات، وينبغي لمصر ألاَّ تسمح بوجود إنقسام أو بتكريس هذا الإنقسام.

وهناك جماعات منقسمة، وقد إتخذت مواقف قبل المبادرة الأميركية. وهذه الجماعات لا فائدة من الكلام معها.

إئتلاف المنظمات محكوم بأضعف حلقاته

سؤال: ألا ترى أنه كان في إستطاعة مصر توحيد المنظمات الفدائية. وألم تكن هناك معالجة أُخرى لموضوع إذاعة "صوت العاصفة" و"إذاعة فلسطين" لا تصل إلى حد إيقافهما عن البث موقتا؟

جواب: لقد عملت مصـر كل ما يمكن عمله لتوحيد المنظمات الفدائية. واتضـح الآن أن السـعي لتوحيد المنظمات كان خطأ لأن الإئتلاف الذي حصل بين هذه المنظمات جعله عرضة لتوتر ومزايدة أضعف الأطراف، وهذا ما يحدث في أي إئتلاف.

إن قرار وقف الإذاعة عن البث موقتاً كان قراراً سـياسـياً. فالإئتلاف بين المنظمات بقي محكوماً بأضـعف حلقاته. وبما أن الإذاعتيْن كانتا تعبّران عن الإئتلاف فإنهما في الواقع كانتا تعبّران عن أضعف الأطراف فيه. عن مواقف وتشنجات هذا الطرف الذي يعتبر التشنج ثورة ويستغني عن العجز في العمل بفصاحة الكلمات أو دويها.

ولقد سكتت مصر بضعة أيام عن إذاعة تبث من أراضيها وتصف قبول القاهرة المقترحات الأميركية بأنه عمل

تآمري وإنهزامي من شأنه التفريط بالقضية الفلسطينية.

إن مصـــر لم تطلب من هذه المنظمات قبول المبادرة الأميركية وأرســلت إليها بشــكل مباشــر التبرير الفعلي والقانوني لقبولها.

ونحن إذا عرضنا قوائم التضحيات وقوائم إحتمالات المستقبل فليس في كل الذين صاحوا من يستطيع أن يتقدم برصيد أو إمكانات تساوي واحداً من مليون ما يمكن أن يقدمه الذين قبلوا المبادرة الأميركية.

لا أزال أذكر بن بيللا

ســـؤال: على أيـة أرض تقف ثورة 1952 الآن ومـا هي أهم الملامح التي أحدثتها في المجتمع العربي والمصري؟

جواب: إن ثورة 1952 نقلت الإنســان المصــري من القرن التاســع عشــر إلى القرن العشــرين حتى في تفكيره ومشـــاكله. نقلت مصـــــر من إطار علاقة مع دولة حامية هي بريطانيا إلى إطار علاقة مع العالم كله. والثورة المصـــرية أحدثت هذا الأثر في العالم العربي. ولولا الثورة المصـــرية لما كانت ثورة 14 تموز في العراق أو ثورة الجزائر. كانت الثورة المصرية بداية تغييرات على مستوى العالم العربي كله.

الآن هناك جمهورية في اليمن، لكن هل نســينا ما فعلته مصـــر من أجْل ثورة اليمن؟ والدولة الجزائرية قامت بفضل الثورة الجزائرية. وهل نسينا ماذا فعلته مصر من أجْل ثورة الجزائر؟

ولا أزال أذكر بن بيللا يوم جاء إلى القاهرة عام 1954 وكان أملـه آنـذاك في قيـام ثورة في الجزائر يبـدو كالسراب. كالحلم.

وعام 1956 كانوا في فرنسا ذاهبين إلى الجزائر عن طريق القاهرة لتصفية ثورتها. كانوا ذاهبين لتصفية الثورة الجزائرية بعد تصفية الثورة المصرية.

لا شيء يمنع قيام الوحدة

سؤال: ما الذي يمنع قيام وحدة بين مصر والسودان وليبيا؟ وما صحة ما يقال من أن مصر ليست ميّالة إلى وحدة مع سوريا وليبيا؟

جواب: أولاً ليس هناك ما يمنع قيام وحدة بين مصــر والســودان وليبيا. وثانياً ليس صــحيحاً أن مصــر غير ميّالة. الواقع أن مصر تريد في كل عمل تقدم عليه أن تتأكد من أن كل خطوة تخطوها ستضيف شيئاً إلى القوى المحشودة من أجْل المعركة لا أن تكون عبئاً عليها. لا شـيء يمنع قيام الوحدة. إن مصـر كانت وحدوية في كل وقت. ومصر مستعدة للدخول في وحدة مع كل من يطلب الوحدة باقتناع وشرف. وإذا كان قد ظهر بعض التردد من جانب مصـــر، فليس في الواقع تردداً وإنما هو رغبة في التأكد من أن كل عمل تقدم عليه في هذا النطاق سيخدم أملاً حقيقياً لا شعاراً مطروحاً.

تحمي صدرها ويحمي ظهره

سؤال: ما هي طبيعة العلاقات المصرية – السوفياتية في الوقت الحاضر؟

جواب: كما كانت منذ بدأت. وهي علاقة صـداقة، وعلاقة إشـتراك في القضـاء على الوجود الإسـتعماري في المنطقة بنوعيه القديم والجديد. وهذا ينبع من مصلحة مشتركة. مصر تريد أن تحمي صدرها والإتحاد السوفياتي يريد تأمين سلامة ظهره. وإذاً، فإنها علاقة صداقة ومصلحة.

ســـؤال: هل أن الوجود الســـوفياتي في المنطقة وبالذات في مصـــر مرتبط بالأزمة التي نشـــأت عن حرب 1967، وهل معنى ذلك أن هذا الوجود سينتهي بمجرد حل الأزمة؟

جواب: هناك مساعدة سوفياتية. ومن الصعب القول إن هذه المساعدة هي وجود. إن الاستعمار هو الموجود في المنطقة. موجود بمصـــالحه ومطامعه. أما الاتحاد الســـوفياتي فإنه يقوم بدور عن طريق المســـاعدات التي يقدمها لحركة النضال العربي.

السوفيات لا يشتركون

سؤال: هل يشترك السوفيات في عمليات عسكرية مصرية وبالذات على جبهة القناة؟

جواب: لا يشتركون.

سؤال: هل للشيوعية مستقبل في مصر والعالم العربي؟ وهل يضايق الإتحاد السوفياتي أن مصر لا تسمح للشيوعيين بممارسة نشاط ما؟

جواب: لم يُدخل الإتحاد السوفياتي موضوع الشيوعيين في علاقاتنا معه. لقد ساعد الثورة المصرية كحركة تحرر وطنية وتقدمية، وتعامل معها على هذا الأساس. وأية حركة تحرر لا يمكن بالضرورة إلاَّ أن تكون تقدمية.

إنني أعتقد أن السبعينات والعصر الحديث تحمل تحديات تؤثر في كل العقائد وبينها الشيوعية. وعندما نتكلم عن العصر الحديث لا ندرك ما تعنيه الكلمة. إننا نقول أحياناً كلمات مقعرة، ويبقى فهمنا لها مسطحاً. إننا نتكلم أحياناً عن عصر التكنولوجيا من دون أن نعرف ماذا يعني سواء بالنسبة إلى وسائل الإنتاج أم علاقات الإنتاج وما يترتب عليها من أوضاع اجتماعية.

أنا سعيد بهذه المبالغة

سؤال: ما الذي يربطك بالرئيس عبد الناصر وكيف إستطعت المحافظة على صلتك به وثقته بك وكم مرة تراه في الأسبوع؟

جواب: هنالك مبالغة كبيرة حول علاقتي بالرئيس عبد الناصر. وهذه المبالغة على أية حال تعطيني شرفاً لا أستحقه. وأنا سعيد بهذه المبالغة وأتردد كثيراً قبل أن أنفي هذا الوهم الشائع عن علاقتي بالرئيس. ومهما تكن درجة العلاقة فأنا معتز بها جداً.

أما عن ثقته بي فيُسأل هو عنها. هو يملك ذلك إذا كان الموضوع مطروحاً.

وهناك إعتقاد شائع بأنني أرى الرئيس يومياً. وصدقني أنه تمضي أحياناً شهور من دون أن أراه.

لا حاجة إلى الإعلام الرسمي

سؤال: حتى الآن لم نسمع بخطة عملك في وزارة الإرشاد. وللمناسبة ألاَّ تعتقد أنه من الضروري إعادة النظر في تسمية الوزارة؟

جواب: الخطوط العريضة لخطة العمل وُضعت. إن مفهوم عمل هذه الوزارة كان ضائعاً، فالقانون الأساسي الذي أنشئت بموجبه وزارة الإرشاد القومي حدد مهمتها على النحو الآتي:

- تبصير الشعب بأموره (وهذه من مهمة التنظيم السياسي).
- محاربة العادات المؤذية للشعب المصري (وهذه تتطلب تربية الشعب وتعليمه).
- مكافحة الآفات الزراعية (وهذه من مهمات وزارة الزراعة).

وبالتالي فقد وجدتُ نفسي أمام جهاز كبير جداً ضائع وسط ظروف سياسية وبيروقراطية معقدة وهدف غير واضح.

أول أمر واجهته هو إعادة توصيف الوزارة مهما كان إسمها. وقد قمنا بتجربة رائدة هي أننا استعنا بمجموعة من المفكرين وحاولنا طرح مهمة الإعلام على أساس علمي وفلسفي وتحديد ماذا نريد. ثم أنشأنا هيئة مستقلة إستقلالاً كاملاً هي اتحاد الإذاعة والتلفزيون. بعد ذلك سنتحرك في بقية المجالات واضعين مهمتنا على أساس:

- إتاحة أكبر قدر ممكن من الحقيقة أمام الناس.
- متابعة إهتمامات الناس الثقافية والترفيهية والتعليمية وفي شتى المجالات.

والأُسس الثلاثة هي التي ستوضح عمل الوزارة في المستقبل.

وللمناسبة فإن إسم الوزارة "وزارة الإرشاد القومي" غليظ. وهو يوحي بأن هناك عمياناً يجب إرشادهم. ولذا فإن هناك إقتراحاً يجعل اسمها وزارة الإعلام.

وحتى كوزارة إعلام فإني أتصور أن دورها موقوت بفترة الحرب. بعد انتهاء الحرب لا موجب لوزارة إعلام لأن المهام ستتوزع على مؤسسات، ذلك بأن أي بلد يسعى نحو الديموقراطية لا حاجة به إلى الإعلام الرسمي المنظم.

دور مصر يأتي بعد الإنتخاب

سؤال: ما هي المواصفات التي تريدها القاهرة للرئيس الذي سيحكم لبنان حتى 1976؟ وحتى الآن لم نعرف ما إذا كان لمصر موقف من إنتخابات الرئاسة في لبنان. هل لها موقف؟

جواب: إن فترة الرئاسة المقبلة لأي رئيس لبناني ستكون فترة حاسمة في التاريخ العربي. ويهم مصر في الدرجة الأُولى في كل المواصفات المطلوبة أن يكون الرئيس اللبناني المقبل قادراً على رؤية مصير لبنان في

إطار المصير الكلي للأمة العربية مع التسليم بأن في لبنان أوضاعاً خاصة.

والوضـع العربي الراهن سيفرض إلتزامات على كل القوى في العالم العربي وبالتالي فإن الرئيس اللبناني المقبل عليه أن يدرك أن ذلك أمر ملح فيســـعى إلى تجاوز وتخطي أي تناقض – في حال وجوده – بين المصـــلحة اللبنانية الذاتية والمصلحة العربية الشاملة.

وأعتقد أن دور مصر في إختيار الرئيس اللبناني المقبل يأتي بعد إنتخابه وليس قبل إنتخابه. فالإنتخاب عملية لبنانية بحتة والإختيار من جانب مصر بعد الإنتخاب عملية عربية.

نُشر هذا الحوار بتاريخ الثلاثاء 2 أغسطس(آب) 1970

نُشرت هذه الحلقة من الحديث في صحيفة «النهار» – عدد الثلاثاء 2 أغسطس /آآب 1970

محمد حسنين هيكل يفتح "للنهار" ملف الهموم والاهتمامات المصرية

دور مصر في اختيار الرئيس اللبناني المقبل يأتي بعد انتخابه وليس قبل انتخابه

على الجبهة المصرية ارادة واحدة اما في الجبهة الشرقية فارادات كثيرة متعارضة ومفككة

عدد من رؤساء الدول العربية عرفوا في ليبيا أن قبولنا للمبادرة الاميركية وارد

لا أحد يملك حرية التصرف بالأرض المصرية او بأية أرض عربية

القوة العراقية في الاردن لا تطلق النار على العدو والعدو لا يطلق عليها النار

على الحكومة العراقية ان ترسل فرقا الى الجبهة بدل تنظيم المسيرات واطلاق الشعارات

فتح لها قيمة خاصة ... لكن ائتلاف المنظمات الفدائية محكوم بأضعف حلقاته

ليس ما يمنع قيام وحدة بين مصر والسودان وليبيا أو مع سوريا وليبيا

السوفيات لا يشتركون في عمليات عسكرية مصرية وعلاقتنا مع موسكو تنبع من مصلحة مشتركة

القاهرة ـ أول آب ـ من فؤاد مطر :

محمد حسنين هيكل : هذا الرجل هاجسه العصر . في كل عمل يقدم عليه يبني حساباته على مفاهيم العصر . في حديثه عن السياسة ، عن الحرب ، عن الاقتصاد ، عن المستقبل ، يقيس الكلام بالمقاييس العصرية .

وهو يحلم بعصر التي تواكب روح العصر . يحلم بالمواطن المصري ، بالجندي المصري . في الستينات كان يتطلع الى ما ستحمله السبعينات . وفي السبعينات سيتأمل كثيرا ما قد تحمله الثمانينات في طياتها .

وأهمية هذا الحديث معه انه تم في وقت يتصاعد كل شيء . الحديث عن الحرب يتصاعد . الحديث عن السلم يتصاعد . الحديث عن المزايدات العربية يتصاعد . الحديث عن مستقبل مصر يتصاعد ... والحديث عن العلاقة المصرية الفلسطينية يأخذ بعدا جديدا لكنه في أية حال لن يصل الى مرحلة الانتكاسة حرصا من الثورة المصرية على الثورة الفلسطينية .

والاسئلة التي طرحتها على الصحافي ـ الوزير هيكل فرضتها الظروف التي نشأت عن قبول مصر المقترحات الاميركية . الا ان الاجوبة تجاوزت الظروف الى المستقبل . ولذا بدت الايضاحات في بعض الاحيان مواقف وخطة عمل .

اننا في حاجة الى انتصارات اخرى

سؤال : عندما قبلت مصر قرار مجلس الامن كانت مضطرة بسبب خروجها من نكسة ، لكنها عندما قبلت مقترحات روجرز فان وضعها كان مختلفا كثيرا . اليس من حق الجماهير العربية ان تتساءل : كيف يجوز قبول المقترحات الاميركية في

ثم بدأ الميزان الدولي يتحرك . والمبادرة الاميركية لم تات طواعية وانما لضغوط فرضتها أوضاع سياسية عربية اهمها ثورة ليبيا ، بالاضافة الى التبدل الجذري في الوضع العسكري المصري .

ان القرار المبدئي بقبول المبادرة الاميركية بحث في ليبيا خلال التجمع الذي جرى لمناسبة احتفالات الجلاء . وبعد تحليل للمقترحات التي عرضها روجرز كان الاتجاه بعد طول تفكير أن قبولها أمر وارد ، حتى ان عددا من رؤساء الدول الذين كانوا هناك عرفوا أن قبولنا للمقترحات وارد اكثر من رفضها . وشرحنا وجهة نظرنا ، وكنا نعتقد أنه يصعب على اسرائيل قبول المقترحات وان الولايات المتحدة برغم التزامها الدائم باسرائيل لا يمكنها أن تقبل أن تفرض عليها العناصر المتطرفة في اسرائيل حالة مجابهة مع الاتحاد السوفياتي ، تماما كما أن الاتحاد السوفياتي لن يسمح لاي تطرف من جانبنا ان يفرض عليه حالة تؤدي الى مجابهة مع الولايات المتحدة .

وأعود الى التأكيد ان قوتنا العسكرية التي وصلنا اليها بالاضافة الى موازين القوى الدولية هي التي اضطرت الولايات المتحدة الى تقديم المقترحات .

من أجل المحافظة على عروبة مصر

سؤال : يلاحظ ان تيار الوطنية المصرية يتزايد . كيف تفسر هذه الظاهرة ؟ وهل من شأن هذا التيار أن يحد من النطلعات العربية لثورة ١٩٥٢ ؟

جواب : مما لا شك فيه ان اي بلد بعض اراضيه محتل يتزايد احساسه الوطني ، خاصة اذا كان هذا البلد كمصر ذا اقدم حدود مرسومة في التاريخ

في الجبهة الشرقية ارادات كثيرة

سؤال : هل انتهى امر قيام الجبهة الشرقية ام ان قيامها لا يزال واردا ؟ ومن وقف دون قيام هذه الجبهة حتى الان ؟

جواب : انه تحت أي ظرف من الظروف ينبغي الا ينتهي امر الجبهة الشرقية . ان سياسة مصر كانت حتى الان وستبقى كالآتي :

أولا : ان تكون الجبهة المصرية قادرة على مواجهة العدو وحدها اذا اقتضت الظروف ذلك .

ثانيا : انه من الضروري لتحقيق النصر ان تكون هنالك جبهة شرقية .

وحتى الان لم تقم جبهة شرقية كما يجب ان تكون ، لكن نفض الايدي من موضوع الجبهة الشرقية ترف لا نستطيع الامة العربية ان تدفع ثمنه . واذا كان هناك صبر سياسي من مصر على بعض الامور التي تحدث في المشرق فمرده ـ ولا بد لدول الجبهة الشرقية ان تدرك ذلك ـ الحرص على عدم سد الطريق امام قيام هذه الجبهة ، وليس الخوف من احد .

اننا ندرك المعقبات . على الجبهة المصرية هنالك ارادة واحدة . اما في الجبهة الشرقية فهنالك ارادات كثيرة ومتعارضة ومفككة في داخلها ، وهذا يعود الى اسباب تاريخية وسياسية .

وبرغم ذلك كله ينبغي الا نيأس ، وان ينتهي امر الجبهة الشرقية . وعلينا ان نامل في اقامة جبهة شرقية ولو نصف قادرة .

« زعلان من ايه » ؟

جواب : ان ثورة ١٩٥٢ نقلت الانسان المصري من القرن التاسع عشر الى القرن العشرين حتى في تفكيره ومشاكله . نقلت مصر من اطار علاقة مع دولة حامية هي بريطانيا الى اطار علاقة مع العالم كله . والثورة المصرية احدثت هذا الاثر في العالم العربي . ولولا الثورة المصرية لما كانت ثورة ١٤ تموز في العراق او ثورة الجزائر . كانت الثورة المصرية بداية تغييرات على مستوى العالم العربي كله .

الان هناك جمهورية في اليمن ، لكن هل نسينا ما فعلته مصر من اجل ثورة اليمن ؟ والدولة الجزائرية قامت بفضل الثورة الجزائرية . وهل نسينا ماذا فعلته مصر من أجل ثورة الجزائر ؟

ولا أزال أذكر بن بيللا يوم جاء الى القاهرة عام ١٩٥٤ وكان امله آنذاك في قيام ثورة في الجزائر يبدو كالسراب . كالحلم .

وعام ١٩٥٦ كانوا في فرنسا ذاهبين الى الجزائر عن طريق القاهرة لتصفية ثورتها . كانوا ذاهبين لتصفية الثورة الجزائرية بعد تصفية الثورة المصرية .

لا شيء يمنع قيام الوحدة

سؤال : ما الذي يمنع قيام وحدة بين مصر والسودان وليبيا ؟ وما صحة ما يقال من ان مصر ليست مبالة الى وحدة مع سوريا وليبيا ؟

جواب : أولا ليس هناك ما يمنع قيام وحدة بين مصر والسودان وليبيا . وثانيا ليس صحيحا ان مصر غير مبالة . الواقع ان مصر تريد في كل عمل تقدم عليه ان تتاكد من ان كل خطوة تخطوها ستضيف شيئا الى القوى المحشودة من اجل المعركة لا ان تكون عبئا عليها . لا شيء يمنع قيام الوحدة . ان مصر كانت